

العناقيد الصناعية البديل القادم لإنعاش المؤسسات الصغيرة والمتوسطة - رؤى وتجارب -
**Industrial clusters, the next alternative to revitalizing small and
medium enterprises - visions and experiences-**

محمد صالح^{1*}،

¹ جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (الجزائر)، salhi_med@yahoo.fr

Mouhamed Salhi^{1*}
¹ University of Jijel (Algeria)

تاريخ النشر: 2023/04/30

تاريخ القبول: 2022/11/26

تاريخ الاستلام: 2022/09/02

ملخص:

عمد هذا البحث إلى دراسة العناقيد الصناعية كبديل قادم لإنعاش المؤسسات الصغيرة والمتوسطة مع عرض لتجارب بعض الدول المتقدمة والنامية، وتم الانطلاق في ذلك من مشكلة معبر عنها بعدد من التساؤلات الفكرية والتطبيقية تمحورت كلها حول تساؤل واحد أُستهدف من الإجابة عنه استجلاء الفلسفة النظرية والدلالات الفكرية للعناقيد الصناعية كونه من الموضوعات الحديثة على البيئة الجزائرية. وخلص البحث إلى أهمية العناقيد الصناعية بالنسبة لكل من اقتصاديات الدول وللمنشآت المتواجدة بداخله، حيث أن هذه العناقيد كانت سببا رئيسيا في تنمية اقتصاديات العديد من الدول وتنمية العديد من القطاعات الصناعية ومكنتها من أن تصل لموقع الصدارة عالميا في تلك الصناعات. وقدم البحث توصيات رئيسية للاستفادة من فرص تأسيس عناقيد صناعية كان من أهمها محاولة الأخذ بنظر الاعتبار مفهوم العناقيد الصناعية كسياسة تهدف إلى التنمية المكانية والإقليمية ومحاولة تطوير البنية التحتية والبنية المجتمعية وذلك لوجود العديد من نقاط القوة والفرص التي تتمتع بها معظم ولايات الوطن. **الكلمات المفتاحية:** العناقيد الصناعية، التجمع العنقودي، المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.

Abstract:

This research examines the industrial clusters as an upcoming alternative to revive small and medium enterprises with a presentation of some developed and developing countries experiences. For this, we based on a problem expressed by a number of intellectual and applied questions, all centered around one question, which was to clarify the theoretical philosophy and the intellectual connotations of industrial clusters. Because its being a modern topic on the Algerian environment.

The research concluded to the importance of industrial clusters for both economies of the countries and enterprises located within it, as these clusters were a major reason in the development of the economies of many countries and the development of many industrial sectors and enabled them to reach the leading position globally in those industries.

*محمد صالح.

The research presented gives many recommendation about the opportunities to establish industrial clusters, the most important recommendation is to try to take into account the concept of industrial clusters as a policy aimed at spatial and regional development and try to develop infrastructure and community structure, because of the many strengths and opportunities of the most states of the country.

Keywords: Industrial clusters, Cluster assembly, Small and medium enterprises

1. مقدمة:

فرضت التطورات الاقتصادية والتقنية التي شهدتها العالم منذ مطلع التسعينات، وما صاحبها من انفتاح اقتصادي وتجاري في ظل العولمة الاقتصادية، تحديات جديدة أمام ترقية وتنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة كون هذه الأخيرة هي أسرع المشروعات من حيث الظهور كما هي أيضا أسرعها من حيث الفشل والاختفاء. وفي ظل ازدياد المنافسة في الأسواق المحلية والعالمية يصبح التغلب على الصعوبات التي يواجهها هذا النوع من المؤسسات قضية مصيرية لهذه الصناعات وللإقتصاد الوطني بوجه عام. وتأسيسا على ذلك ومع عدم تحقيق الصناعات الصغيرة والمتوسطة للآمال المنشودة وهي تعمل بصورة منفردة وبشكل منفصل بالرغم من الدعم والاهتمام الموجه إليها، وبالرغم كذلك من وجود العديد من المناطق الصناعية في الإقتصاد الجزائري، إلا أنها تتسم بتنوع الصناعات داخلها وعدم وجود سمة مشتركة بينها، كان لابد من البحث عن شكل جديد للتقارب والتعاون بين تلك المشروعات للتغلب على الصعوبات ولتحسين أدائها والوضع التنافسي لها في إطار مؤسسي متكامل، وقد ظهر هذا الشكل في صورة العناقيد الصناعية، حيث تشير الأدبيات إلى قيام الدول المتقدمة بتنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة من خلال تركيز هذه المشروعات للعمل بالقرب من بعضها في إطار متكامل ومترابط بجانب المؤسسات الداعمة لها فيما يعرف بالعناقيد.

ويوفر العمل ضمن التجمعات الصناعية العديد من المزايا للشركات، من أهمها خفض ملموس في تكاليف الإنتاج بصفة عامة ورفع الكفاءة الإنتاجية، نتيجة لقرب ورخص مدخلات الإنتاج الرئيسية (كالمواد الخام والعمالة). وتوفير البنية التحتية المناسبة للصناعة وتسهيل الوصول للموارد المالية اللازمة، نتيجة لوجود أسواق مالية تفهم هذه الصناعة. أيضا من المزايا زيادة فرص التخصص وهو ما يسمح بإعادة هيكلة الصناعة وظهور منتجات جديدة. التكامل مع الشركات الأخرى للحصول على مزايا الحجم والمقدرة على دخول أسواق جديدة. ومن المزايا لتلك التجمعات الصناعية إمكانية الحصول على الأسعار التفضيلية لشراء كميات كبيرة من المواد الخام، تسهيل الوصول إلى العمالة المدربة والموردين المتخصصين، كذلك تسهيل تبادل المعلومات واكتساب المعرفة، ومنها سرعة الاستجابة للتغيرات في الصناعة. هذا وقد أشار بورتير Porter إلى أن أفضل بيئة عمل بمفهومها الواسع يمكن خلقها للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة هي من خلال تطوير العناقيد الصناعية لما تضمنه من علاقات تكاملية أفقية ورأسية بين هذه المؤسسات.

لقد ساهم تبني فكر العناقيد الصناعية في العديد من دول العالم على تنمية وتطوير عمل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ومساعدتها في التغلب على المشاكل التي تواجهها والناجمة عن صغر الحجم، ومن أهم وأبرز الأمثلة على العناقيد الصناعية التي حققت نجاحا كبيرا على المستوى العالمي تجمع صناعة السيارات في كل من الولايات المتحدة وألمانيا، وتجمع صناعة الاتصالات في فنلندا، والحسابات والبرامج الحديثة في كل من وادي السيلكون في

الولايات المتحدة وبنجالور في الهند، وصناعة الأزياء والسيراميك في جنوب إيطاليا. حيث يرى Stenberg أن تشكيل التجمع العنقودي مرتبط بمبدأ العقلانية، ويضيف عليها Krugman أن ذلك مرتبط بالنمو الذاتي أو الداخلي.

وتشير بعض التقديرات إلى أن هذه العناقيد تسهم بنحو 60% من صادرات الهند. وفي إيطاليا تصدر التجمعات 57% من صادرات إيطاليا الصناعية وتوظف نحو 65% من العاملين في القطاع الصناعي. ويوجد في قاعدة بيانات معهد التنافسية وحدها معلومات عن 800 تجمع صناعي في 52 بلدا حول العالم، وكل هذا يعود للتحويلات التي أفرزها تراجع أو انتهاء نظام الفورية في الإنتاج الصناعي وظهور نظام جديد قائم على المرونة والتخصص والذي يقوم على مبدأ التفاعل والتكامل بين مجموعة من المؤسسات التابعة لنفس الفرع الصناعي أو المشابهة له.

1.1. مشكلة الدراسة:

رغم كثرة الدراسات والخطوات الموضوعة في حسابان مسؤولي قطاع الصناعة في الجزائر لرسم ملامح سياسة تنمية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، إلا أن الورق وحده لا يفعل شيئا ملموسا على أرض الواقع، من هذا المنطلق جاءت فكرة إعداد دراسة تتناول موضوع التجمعات الصناعية (والتي تعرف أيضا باسم العناقيد الصناعية) باعتبارها ممرآة آمنة نحو قطاع صناعي متطور. وعلى ضوء ما تقدم يمكننا إثارة التساؤل التالي:

هل بالفعل يمكن للعناقيد الصناعية أن تعد البديل القادم لإنعاش المؤسسات الصغيرة والمتوسطة؟

لقد أثارت هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الأساسية التي هي بحاجة إلى بحث وتمحيص، من بينها:

- 1- كيف نعزز الترابط بين المؤسسات الصغيرة والمتوسطة؟
- 2- ماهية التجمعات الصناعية العنقودية ومحدداتها؟
- 3- ما أشكال العلاقات الصناعية داخل العنقود؟
- 4- هل أن أداء المنتجين الأعضاء في العنقود أفضل من أداء المنتجين غير الأعضاء في العنقود؟
- 5- هل يعمل التقارب والتعاون بين المشروعات الصناعية الصغيرة والمتوسطة ضمن قطاع عملها من خلال التجمع العنقودي على التغلب على المخاطر والتحديات ومواجهتها؟

2.1. أهمية الدراسة:

على الرغم من وجود تفاوت بين الدول سواء فيما يتعلق بتعريف المنشآت الصغيرة والمتوسطة أو تحديد سماتها وخصائصها، إلا أن هناك إجماعا على أهمية هذه المنشآت ودورها في إرساء ركائز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، إذ تعد هذه المنشآت المحرك الأساس في عملية التنمية الاقتصادية؛ لدورها في زيادة الطاقة الإنتاجية من ناحية، وإسهامها في معالجة مشكلتي الفقر والبطالة من ناحية أخرى. وجميع هذه العوامل وغيرها تجعل من دراسة وضع المنشآت الصغيرة والمتوسطة وكيفية تطوير دورها في التنمية الاقتصادية أمرا في غاية الأهمية.

كما يمكن استجلاء وإدراك أهمية البحث من خلال اهتمام معظم دول العالم ولاسيما المتقدمة منها في السنوات الأخيرة، بالعناقيد الصناعية كوسيلة لإنعاش المؤسسات الصغيرة والمتوسطة عن طريق تجميع تلك

الصناعات في مكان واحد مع وجود الصناعات الداعمة والمغذية لإنتاج منتج واحد، ومن ثم اقتحام الأسواق العالمية والصمود أمام المنافسة في السوق المحلي، حيث تتمتع العناقيد الصناعية بمزايا تنافسية عديدة.

3.1. أهداف الدراسة:

يرمي البحث إلى تحقيق الآتي:

- 1- استعراض الأطر المفاهيمية للعناقيد الصناعية وبيان أهميتها في خلق بيئة مناسبة لإنعاش المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.
- 2- إلقاء الضوء على العناقيد الصناعية كشكل من أشكال تحقيق التنمية الصناعية عن طريق تجميع عدد من الصناعات المتشابكة والمتراصة في حيز جغرافي واحد مع الصناعات الداعمة والمغذية لها.
- 3- عرض تجارب وممارسات تطبيقية ناجحة للعناقيد الصناعية في بعض البلدان المتقدمة والنامية.

4.1. منهج الدراسة:

لما كان البحث الحالي يصنف ضمن الدراسات الوصفية التحليلية، فقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف موضوع البحث وصفا دقيقا منظما مقترنا بالتحليل والتفسير والتعليل للمعطيات النظرية بغية الوصول إلى نتائج عملية يمكن الاستفادة منها في تطبيق واستخدام هذه المنهجية في الأبحاث والدراسات الاجتماعية، كما تم الاستعانة بالمنهج المقارن لاستعراض التجارب الدولية الناجحة في مجال هذه العناقيد التي حققت تقدما واضحا في مجال المنشآت الصغيرة والمتوسطة، بغية دراستها لتكوين رصيد معرفي عن إسهام المنشآت الصغيرة والمتوسطة في بناء اقتصاد أوطانها، واستخلاص مؤشرات ودروس مفيدة منها.

5.1. الدراسات السابقة:

في البحث عن دراسات سابقة في مجال العناقيد الصناعية لم يجد الباحث أبحاثا أو دراسات تناولت موضوع الدراسة بصورتها الحالية، ولكن هناك بعض الدراسات التي تناولت الموضوع من نواحي معينة ومن أهمها:

-دراسة إمام خليل، 2021، بعنوان: التحالفات الإستراتيجية كأداة لتحقيق تنافسية العناقيد الصناعية بالتطبيق على صناعة الجلود في مصر خلال الفترة (2004-2017)

هدفت هذه الدراسة إلى تبيان أن العناقيد الصناعية تساعد المنشآت الصغيرة والمتوسطة في التغلب على المشكلات التكنولوجية، ومشكلات صغر الحجم. وسعت أيضا إلى توضيح كيفية أن يكون للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة مكانة ومساهمة فعالة في الاقتصاد الوطني، ويجب أن تعتمد تنميتها، وتطويرها على استراتيجيات واضحة، ومن بينها إستراتيجية العناقيد أو التجمعات الصناعية التي يمكن من خلالها علاج العديد من المعوقات التي تقف حائلا دون تطور هذه المؤسسات وتعزيز دورها خاصة في الدول النامية. وتوصلت الدراسة إلى أن وجود مجموعة من التحالفات الإستراتيجية تؤدي إلى تحقيق أعلى مستوى من الكفاءة والتنافسية، وتحقيق تخفيض التكاليف، وذلك من خلال المشاركة في التكاليف الثابتة التي يصعب على كل منشأة بمفردها توفير آلياتها.

- دراسة إيهاب علي الموسوي، 2019، دور العناقيد الصناعية في تطوير القدرة التنافسية للقطاع الصناعي، مجلة أهل البيت، جامعة أهل البيت، كربلاء، العدد 24، العراق

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز مفهوم العناقيد الصناعية كأحد المفاهيم الجديدة في عالم الأعمال للتنمية الاقتصادية، واقتصاديات الموقع، وكذلك للتنمية الإقليمية التي تهدف إلى تطوير آلية عمل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ونجاحها ورفع قدرتها التنافسية محليا وعالميا، وما تم استنباطه كنتائج لهذه الدراسة هو أن هذه العناقيد تساهم في خفض تكاليف الإنتاج والنقل والتسويق لهذه المشروعات من خلال الاستفادة من تجمع عدة شركات ومؤسسات في كتلة واحدة متقاربة جغرافيا تمتاز بتقسيم العمل والإنتاج والتخصص ونشر المعلومات والبيانات فيما بينها، وهذا ما يدعم الابتكار الذي يعد محرك عملية التنمية والإنتاج.

-دراسة Victoria V. Prokhorova And Other ، 2018، بعنوان

Formation and development of industrial clusters in the socioeconomic regional system, Revista Espacios, Vol 39(N31)

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن آليات تشكيل وتطوير العناقيد الصناعية وإزاحة النقاب عن المزايا السوسيو اقتصادية الاستاتيكية والديناميكية التي يتم اكتسابها والمتوخاة أيضا عند تبني هذا الأسلوب من التكتلات أو التجمعات بين المؤسسات، وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها أن العناقيد الصناعية تسمح بالتبادل النشط للمعلومات بين هذه الكيانات الاقتصادية المترابطة، كما أن هذه الكتلة تسمح بتقليل عامل عدم اليقين، وتوفر درجة عالية من البصيرة على السوق، مع وجوب السهر على تشكيل وتطوير التجمعات الصناعية من لدن الهيئات الحكومية والمحلية

-دراسة Timothy F. Slaper, Ping “Claire” Zheng، 2017، بعنوان

Competitive advantage, industry clusters and the magnetic attraction of investment in new plant and equipment from outside the region, A paper submitted for the 57th ERS Congress 29 August - 1 September 2017 Groningen, The Netherlands

هدفت هذه الدراسة إلى تناول الميزة التنافسية والعناقيد الصناعية، وما إذا كانت هذه العناقيد كمغناطيس جاذب للاستثمار من شركات خارج المنطقة، كما أبرزت أن العوامل الخارجية لهذا التكتل من المؤسسات يخلق مزايا للصناعات ذات الصلة المماثلة والمكملة في نفس الموقع، وللتأكد من ذلك فقد استخدم الاستثمار الأجنبي المباشر على مستوى المقاطعات بالولايات المتحدة الأمريكية كمقياس لذلك، وتم التوصل إلى أن الخصائص الإقليمية تعتبر مهمة في عملية الجذب، كتوافر العمالة، والتكاليف المنخفضة للكهرباء، والحوكمة الرشيدة للدولة، مما يجعل الشركات تستثمر تستثمر في شركات جديدة، أو توسيع المرافق في المناطق التي لديها تركيز مطلق مرتفع للتوظيف في صناعة محددة.

6.1. التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال عرضنا لمختلف الدراسات التي تناولت موضوع العناقيد الصناعية فإن أول ما يلفت نظرنا هو أننا يمكن تقسيمها إلى نوعين رئيسيين، إذ يعتمد النوع الأول منها على حصر الكتابات النظرية عن هذا الموضوع، ومحاولة الإلمام بالجوانب المفاهيمية للعناقيد الصناعية وأنماطها المختلفة وأهميتها في تعميق عمليات التصنيع المحلي، والدور الذي يمكن أن تلعبه في تنمية وإنعاش المؤسسات الصغيرة والمتوسطة. وأما النوع الثاني من هذه الدراسات فقد حاولت دراسة بعض الحالات التطبيقية المرتبطة بمفهوم العناقيد الصناعية في محاولة إما لتوصيف وضع قائم

يمكن الاستفادة من تجربته، أو بهدف إعادة هيكلته بالشكل الذي يساعد على تحقيق وثبة لتلك الأنشطة الصناعية

ويتميز موضوع هذا البحث المقدم من قبلنا في كونه من الأبحاث التخصصية الدقيقة التي تهتم بدراسة تطبيقات وتجارب بعض البلدان المتطورة والنامية بعينها وتوصيفها بشكل جيد، وذلك لوضع تصور مناسب لكل حالة على حدة، بما يساهم من إعطاء صورة شاملة لمتخذي القرارات عن هذه العناقيد الصناعية، وذلك لأن كل تجربة أو حالة بعينها تختلف عن غيرها في كيفية تشكيلها والأطراف المتداخلة فيها، وهذا هو مكن الاختلاف بين هذا البحث والدراسات السابقة في هذا المجال. هذا وقد تمت الاستفادة من الدراسات السابقة في تحديد الإطار النظري للعناقيد الصناعية وأنماطها وكيفية الاستفادة منها. في حين ركز الجانب التطبيقي على محاولة وضع تصور لكيفية استخدام العناقيد الصناعية في مختلف الأنشطة الصناعية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة ببعض البلدان.

2. الخلفية النظرية للعناقيد الصناعية:

مع تراجع أو بالأحرى فشل نظام الإنتاج الصناعي القائم على أساس المصنع المنفرد الذي ساد طوال الفترة الممتدة من بداية القرن العشرين وحتى منتصف السبعينات منه، بدأ التحول من فكرة التجمع الصناعي الكلاسيكي إلى ما بات يعرف بالتجمع العنقودي.

1.2. مفهوم العناقيد الصناعية:

عند محاولة تعريف التجمع الصناعي العنقودي فإنه ينبغي بداية العودة إلى أفكار بورتر Michael Porter رئيس ومؤسس معهد التنافسية في جامعة هارفارد، والذي يعتبر بحق الأب الروحي لفكرة العنقود الصناعي، سواء من حيث البنية أو من حيث الدور الذي يلعبه، ففي سنة 1990 بدأت معالم هذا المفهوم تتبلور عندما قام بورتر بإصدار كتابه الشهير "الميزة التنافسية للأمم" (مدحت، 2007، صفحة 24) « The Competitive Advantage of Nations ». حيث وجد أن أفضل أسلوب لتحقيق تنافسية الدول هو التركيز على سياسات الاقتصاد الجزئي وإيجاد مناخ استثماري جاذب للمؤسسات، وأن أفضل بيئة لهذه المؤسسات هي بيئة العناقيد الصناعية، وتبعاً لبورتر فإن التجمع العنقودي هو تركز منشآت اقتصادية متماثلة الإنتاج ومرتبطة بسلسلة قيمة مضافة محددة في موقع ما وتتفاعل مع منشآت مشابهة بإنتاجها وترتبط بموردين متخصصين ومؤسسات ذات علاقة مثل: (الجامعات والنقابات والخدمات المتخصصة كالبنوك والمحاسبين والمستشارين)، وإن كان ينطلق من المنشأة الاقتصادية المنفردة، إلا أنه إلا أنه يهدف إلى بناء وتطوير قدرات المنشآت الصناعية لتمكينها مجتمعة من المنافسة. (حسين، 2018، صفحة 311).

بورتر من هذا المنظور يرى أن هذا التنظيم يتركز على تركز وتحد عفو للمؤسسات، وأن العلاقات الوثيقة بين المؤسسات المتواجدة ضمنه، الناجمة عن تشابه الأهداف بينها قد تمثل الشكل الأكثر نضجا للعمل التكاملي مما تصنع ميزة تنافسية لهذا التنظيم، في حين أنه لم يحدد طبيعة المؤسسات المتخصصة المشكلة له فيما إذا كانت صغيرة أو كبيرة.

وطبقا لدويرينجير وتركلا Doeringer and Terkla فإنه ليس هناك تعريف وحيد للعناقيد الصناعية، والتعريف الخاص بهما حسبهما:

"أنها عبارة عن تركيز جغرافي للصناعات يؤدي إلى تحقيق مكاسب من خلال الموقع المشترك" (Doeringer, 1995, p. 227).

وما يثار على هذا التعريف والذي قبله كذلك من قبل بعض الاقتصاديين، هو أن حدود العنقود غالباً لا يتم أخذها في الاعتبار عند تحديد هذا المصطلح أي (عبارة التركيز الجغرافي)، وذلك لأن في ظل التطورات الحاصلة في مجال انتقال رؤوس الأموال والتكنولوجيا ما عادت مشكلة المفهوم أو البعد الجغرافي تشكل عائقاً كبيراً أمام تكوين وتطوير وامتداد العناقيد الصناعية كما هو الحال عليه في كثير من الصناعات، مما يستوجب ضرورة استبعاد الموقع الجغرافي كعنصر من التعريف.

تعرف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OCDE العناقيد بأنها "شبكات من الإنتاج، تنشأ نتيجة الترابط الشبكي المتين بين مؤسسات صناعية التي لها نشاطات متشابهة أو متكاملة، والتي تقتسم العمل، بما في ذلك الموردين، ووكلاء إنتاج المعرفة (الجامعات، ومعاهد البحوث، الشركات الهندسية، مراكز يقظة تكنولوجية)، والعملاء، حيث تتشابك هذه الهياكل في علاقات تعاون ينتج عنها عنقود يمثل السلسلة الكاملة للقيمة المضافة للمنتج (قوي، 2017/2016، صفحة 72).

هذا التعريف يتماشى مع التعريف المقدم من طرف بورتر، ويضيف إليه بالإشارة إلى نوع العلاقات المتوفرة في هذا النظام مع الزبائن والموردين، بفعل روابط أكثر صلابة. ومنه سيصبح التجمع على شكل نسيج مركب من العقود بين مؤسسات كبيرة، متوسطة وصغيرة بعقود من الباطن، عقود الامتياز والتراخيص (قوي، 2017/2016، صفحة 72).

إن التعريف المبسط للعنقود هو تلك المجموعة من الشركات أو المؤسسات التي تشترك في صناعة معينة ويمكن لها أن تتكامل فيما بينها تكاملاً عمودياً أمامياً وخلفياً بدءاً من مدخلات العملية الإنتاجية وانتهاءً بالمنتجات النهائية وما تشمله عمليات إنتاجها من حلقات فرعية داخل مؤسسات العنقود.

يمثل العنقود السلسلة الكاملة لخلق القيمة المضافة، وتختلف العناقيد من حيث العمق ودرجة التعقيد، ولكن غالباً ما يضم العنقود جميع مراحل العملية الإنتاجية، ويمكن التمييز بين نوعين من علاقات الترابط بين الشركات في العنقود الواحد، فهناك ترابطات أفقية، وهي تلك العلاقات التي تكون بين منشآت في نفس المرحلة الإنتاجية، وعلاقات تكامل رأسي، وهي تلك التي تكون بين شركات في مراحل مختلفة من العملية الإنتاجية، وبالتالي فإن العنقود في صورته الحقيقية يمثل شبكة من العلاقات الصناعية المتنوعة.

وعليه فإن العناقيد الصناعية تختلف عن الصناعة والقطاع الصناعي في المفهوم في كون العناقيد الصناعية تمثل سلسلة القيمة الكاملة من الصناعة المحددة ابتداءً من الموردين وانتهاءً بالمنتجات النهائية بما في ذلك دعم الخدمات والبنية التحتية المتخصصة، وبذلك فالعناقيد الصناعية تمثل تركيزاً جغرافياً مترابطاً من خلال تدفق السلع والخدمات مما يجعلها أقوى من ربطها ببقية قطاعات الاقتصاد، كما أنها تشمل العمالة المنخفضة والعالية القيمة على حد سواء (Diego، 2011، صفحة 2).

2.2. أنواع العناقيد الصناعية:

تختلف أنواع العناقيد الصناعية بحسب المفاهيم والمعايير التي ينظر للعنقود من خلالها، وحسب النشأة أو المنتج أو نوعية الترابط وغيرها كما يلي: (منصور، 2012، الصفحات 8-9)

1.2.2. حسب النشأة: فيمكن أن يتكون العنقود بشكل طبيعي (تلقائي) نتيجة لوجود تاريخ قديم للمنطقة في هذه الصناعة نتيجة لتوافر الموارد الطبيعية والمواد الخام أو لوجود المهارات اللازمة لدى السكان أو ارتفاع الطلب المحلي، ويتميز هذا النوع بمقولة تكلفته وسرعة نتائجه وعلى مستوى كبير من الموثوقية، ولكن تنميته تستغرق وقتاً أطول وتكلفة أكبر.

2.2.2. حسب المنتج: فقد يكون تجمع صناعة السيارات (ديترويت وجنوب ألمانيا) أو تجمع خدمات مالية (لندن ونيويورك) أو خدمات سياحية أو إعلامية (هليوود) أو تجمع صناعة الاتصالات (ستوكهولم في فنلندا) أو حاسبات وبرامج حديثة (وادي السيليكون في أمريكا وبنجالور في الهند) أو تجمع صناعة الأزياء والسيراميك (جنوب إيطاليا)

3.2.2. حسب درجة التخصص: ويكون في مستوى معين من سلسلة القيمة المضافة للصناعة، أو في التخصص بسوق جغرافي معين أو بشرى معينة من الأسواق والعملاء كصناعة الأحذية (شمال إيطاليا).
4.2.2. حسب درجة الترابط: فهناك عناقيد مترابطة رأسياً وفيها يتكون التجمع من شركة أو عدة شركات كبيرة ويمدها عدد كبير من الشركات الأصغر بمدخلات الإنتاج كتجمعات صناعة السيارات، وهناك عناقيد مترابطة أفقياً وفيها يتكون التجمع من عدد كبير جداً من الشركات المتوسطة والصغيرة التي تنتج منتجات نهائية وتسوقها.

5.2.2. حسب الهيكل: فقد قسمت (Markusen) العناقيد الصناعية حسب هيكلها إلى أربعة أنواع لكل منها نوعية مختلفة من العلاقات بين الشركات وسياسة مختلفة في رفع التنافسية وهي: (L.Barkley، 2001)

- **عناقيد مارشال:** وهي المكونة من شركات محلية صغيرة ومتوسطة الحجم تتخصص في الصناعات المعتمدة على التكنولوجيا المتقدمة والحرفة العالية، ويكون التبادل والتعاون بينها كبيراً في مواجهة الصعوبات وتحظى بدعم حكومي كبير لتطوير تنافسيتها. ويعتمد نمو فرص العمل على مستوى التحالفات القائمة بين الشركات.
- **عناقيد المحور والأذرع:** وهي التي تسيطر عليها شركة أو عدة شركات كبيرة يخدمها عدد كبير من الشركات المتوسطة والصغيرة الموردة للمدخلات والخدمات، وقد تضم العديد من الشركات التي تستخدم منتجات الشركات الكبرى، ويكون التعاون موجود بين الشركات الكبرى والصغرى ولكنه مفقود بين الشركات المتنافسة. ويعتمد نمو فرص العمل على نمو الشركات المحورية.
- **عناقيد منصات الفروع:** وتتكون من فروع الشركات الدولية متعددة المصانع، وتتميز بضعف التبادل التجاري بين الفروع وقلة عدد النشاطات والشركات المنبثقة والمزودين بالمدخلات من هذه المصانع. ويعتمد نمو فرص العمل على قدرة التجمع على استقطاب المزيد من فروع الشركات وتقوية الروابط فيما بينها.

- **عناقيد المراكز العامة:** وهي عبارة عن تواجد لمقدمي الخدمات وموردي المدخلات حول مراكز النشاطات العامة الكبيرة في الدولة مثل الجامعات والقواعد العسكرية، والعلاقة تقوم على علاقة البائع والمشتري.

3.2. العلاقات الصناعية داخل العنقود:

يرتبط بفكرة العناقيد الصناعية عدد من المفاهيم الأساسية المتعلقة بالمراحل المختلفة لإتمام العملية الإنتاجية ودورة السلع والخدمات والمنتجات الوسيطة بين الوحدات المختلفة داخل العنقود، وتشتمل هذه المفاهيم على الصور المختلفة للعلاقات الصناعية بين المنشآت والتي من أهمها:

1.3.2. التعاقد من الباطن: يصعب في بعض الحالات أن تقوم الشركات بجميع مراحل العمليات، فعادة

ما يقتصر نشاطها على بيع الخدمة الهندسية، أو إدارة المشروع، أو تسويق المنتجات...، ولذلك تسعى هذه الشركات إلى التعاقد من الباطن على الأنشطة، أو المراحل التي لا تقوم بتنفيذها مع مقاولين آخرين لتنفيذ المرحلة أو النشاط المعهود إليهم، وتنطوي صفقات التعاقد من الباطن على اتفاقية بين جدارتين إنتاجيتين يقوم أحد الأطراف (مقاول الباطن) بإنتاج سلعة، أو توريد أو تصدير قطع الغيار، أو المكونات الأساسية الخاصة بسلعة معينة للطرف الآخر (الأصيل). (عماري، 2010/2011، الصفحات 155-156)

2.3.2. التوريد الخارجي: وهو عبارة عن قيام الشركة الأم بشراء السلع الوسيطة أو الخدمات المساعدة

للعلمية الإنتاجية بدلا من إنتاجها داخليًا، وفي هذه الحالة تقوم إحدى الوحدات والتي عادة ما تكون صغيرة أو متوسطة الحجم، بإنتاج تلك المكونات أو تقديم تلك الخدمات لصالح الشركة الأم، ويمثل التوريد الخارجي أحد أشكال العلاقات الرأسية بين المؤسسات. (الصمد، 2011، صفحة 3)

4.3.2. التحالفات الإستراتيجية: وتنطوي التحالفات الإستراتيجية على مجموعة واسعة من العلاقات

التعاقدية التي تنشأ بين الشركات، أو بين الحكومات والشركات بشأن مشروع معين، لتحقيق هدف إستراتيجي محدد لكل طرف من أطراف العقد. (النجار، 1999، صفحة 14)

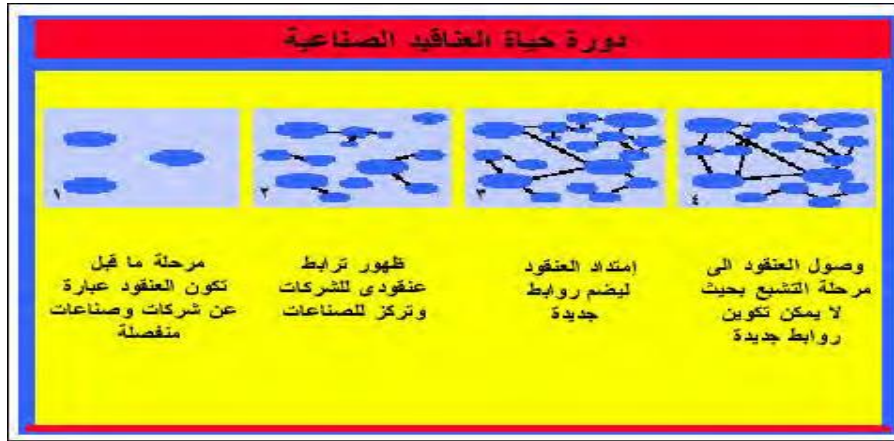
إن هذا النوع من العلاقات الصناعية أصبح يحتل أهمية كبيرة في عناقيد الصناعة المتطورة، وخاصة العلمية منها. التحالفات هي اتفاقات بين إثنين أو أكثر من المؤسسات للموافقة على تجميع مواردها سعيا وراء فرص سوقية معينة، وتشتمل هذه الاتفاقات على كل من: المشروعات المشتركة، اتفاقيات البحوث والتطوير المشتركة، التبادل التكنولوجي، الاستثمار المباشر، التراخيص الصناعية، ومجموعة أخرى من الترتيبات (سليم، 2007، صفحة 155).

وتمثل هذه التحالفات علاقات صناعية داخل العنقود وخارج مجال الإنتاج، خاصة بالنسبة للعناقيد الصناعية المتطورة عالميا، والمميز في هذا النمط أنه لا يتطلب وجود بيئة أعمال ناضجة ومتطورة حتى يمكن أن تتجه إليه المؤسسات غير أنه يستدعي ضرورة وجود قاعدة تشريعية وقانونية كفؤة حتى تتم الاستفادة منه.

4.2. مراحل تكون العناقيد الصناعية:

تمر العناقيد الصناعية بدورات حياة شبيهة بدورة المنتجات الصناعية، حيث أنها تتطور باستمرار وتمر بمراحل متعددة فتضم إليها شركات جديدة وتختفي منها شركات أخرى وهكذا ، ففي مرحلة ما قبل تكون العنقود يتميز سلوك الشركات والصناعة في هذه المرحلة بأنه مستقل إلى حد كبير وقليل التفاعل مع المجتمع المحلي ، ويولد العنقود من شركة أو شركتين في البداية " الرواد " ويكون الحافز إما توفر مواد خام أو توافر عمالة ماهرة ورخيصة وقد يكون بالصدفة البحتة، وأثناء نمو العنقود الصناعي يزداد الاعتماد المتبادل بين الشركات والموردين المحليين ، وخلال مرحلة الإقلاع تزداد درجة التفاعل بين الشركات والمجتمع المحلي والمؤسسات البحثية والعلمية ويستمر العنقود في النمو المطرد حتى يصل إلى مرحلة النضج والاستقرار والتي يصبح بعدها غير قادر على ضم مزيد من الشركات وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الحرجة وهي درجة التشبع من حيث المعرفة والمهارات والمعلومات خلال العنقود الصناعي. (مصطفى، 2004، الصفحات ص130-131)

الشكل رقم (1): دورة حياة العنقود الصناعي



المصدر: ممدوح محمد مصطفى، إستراتيجية توطين المشروعات الصناعية في مصر، دراسة حالة إقليم جنوب الصعيد،

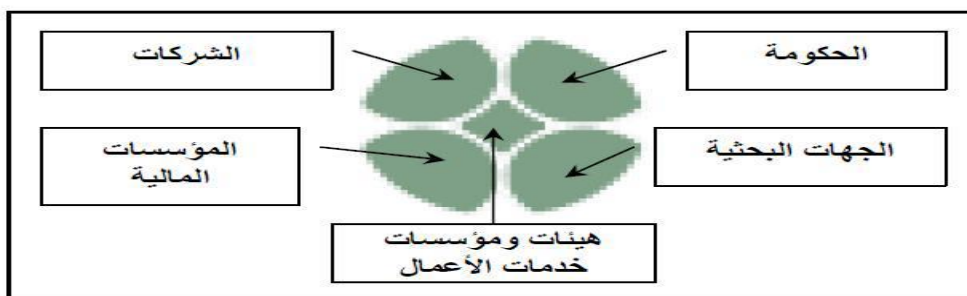
(2004)، أطروحة دكتوراه في التخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، القاهرة، ص131

وقد يستمر نجاح بعض العناقيد لعقود متتالية وتزداد درجة تنافسيتها باستمرار مثل (عنقود الطباعة في ألمانيا، والصناعات الجلدية في إيطاليا، وصناعة الشوكولاته في سويسرا)

5.2. عناصر العناقيد الصناعية:

تتمثل العناصر الأساسية في العنقود الصناعي في الشركات والحكومة والجهات البحثية والمؤسسات المالية، تربطها معا وبصورة منظمة هيئات ومؤسسات خدمات الأعمال الرسمية وغير الرسمية كالغرف التجارية والاتحادات الصناعية والتجارية وهيئات تنمية الصادرات وبرامج تنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة وغيرها، ويوضح شكل (2) العناصر الأساسية للعناقيد الصناعية.

شكل رقم (2): عناصر العنقود الأساسية



المصدر: عابد محمود أحمد، عبد الله عبد الشافي منصور، دور العناقيد الصناعية في تنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة، (2012)،

مجلة القطاع الهندسي، المجلد 7، عدد 25، جامعة الأزهر، القاهرة، ص10.

يتضح من الشكل السابق أن لكل عنصر دور يمكن توضيحه كالتالي: (السعودي، 2007، الصفحات 4-5)

1.5.2. دور الشركات: هي المحرك الرئيسي للعنقود والعنصر الذي تقوم بدعّمه كافة العناصر الأخرى ليقوم بدوره بعمليات الإنتاج وتفعيل الابتكارات وإيجاد فرص العمل وجلب الاستثمارات ورفع القيمة المضافة وزيادة الصادرات.

2.5.2. دور الحكومة: هو تنظيم ودراسة العناقيد ودرجة أهميتها للاقتصاد واختيار انسبها، وتقوم بوضع الخطط والسياسات اللازمة لتطوير العنقود وبناء العلاقات مع الجهات الخاصة التي يمكن أن تساهم في دعم تنمية العنقود، وتقديم الدعم المادي لتشجيع القطاع الخاص للمشاركة وضمان سد الفجوات والآثار السلبية التي قد تسببها مبادرات تنمية العناقيد.

3.5.2. دور الجهات والمؤسسات الداعمة: وتشمل الجهات البحثية والمؤسسات المالية التي تعمل على توفير التقنية والابتكارات والتمويل والتدريب والبحوث والتطوير، وإقامة جسور التواصل بين الشركات العاملة بالعنقود.

4.5.2. دور هيئات ومؤسسات خدمات الأعمال: هو تشجيع التعاون بين الشركات العاملة في العنقود وزيادة ديناميكيته من خلال إيجاد التحالفات والمشاريع المشتركة والترويج للمنتجات، وتنظيم الروابط بين الشركات وبين الجهات الأخرى خارج العنقود.

3. التجارب في مجال تنمية وإنعاش المؤسسات الصغيرة والمتوسطة اعتماداً على العناقيد الصناعية:

تشكل العناقيد الصناعية في هذه الفترة فرصة داعمة مواتية وأحد الحلول الجوهرية لإعادة هيكلة الصناعة وتنظيم وتنمية المنشآت الصغيرة والمتوسطة ومتناهية الصغر- وخصوصاً مع عدم تحقيقها للنتائج المرجوة منها سابقاً وإجراء إسعافي لتمكين المنشآت الصناعية المتضررة في البقاء ومتابعة العمل والإنتاج والتشغيل عبر تطوير قاعدة المشروعات الصغيرة والمتوسطة، من خلال خلق حلقة من الترابطات الإنتاجية وتحفيز الاستثمار المشترك ما بين هذه المشروعات ومؤسسات القطاع العام وتوظيف وتطوير رأس المال الاجتماعي والمعرفي عن طريق تخصص كل وحدة من الوحدات في مرحلة معينة من مراحل الإنتاج مع زيادة القدرة التنافسية للمؤسسات الصغيرة داخل العنقود أكثر من خارجه.

1.3. التجربة البرازيلية (وادي سينوس Sinos Valley) لصناعة المنتجات الجلدية:

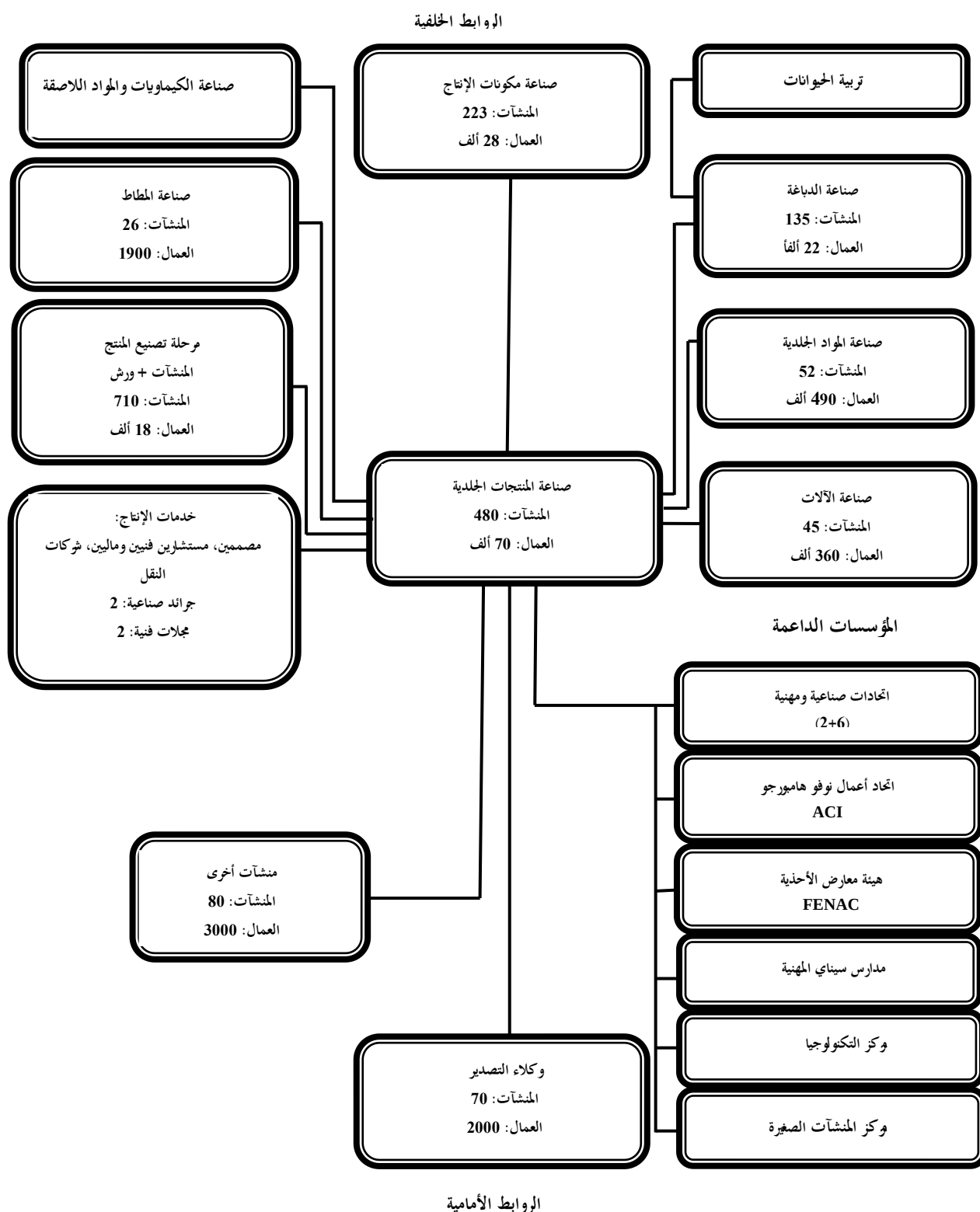
أدى اهتمام الحكومة البرازيلية بالعناقيد الصناعية إلى وجود تجمعات متخصصة في العديد من الصناعات، ومن أهم التجمعات الصناعية الناجحة في البرازيل هي تجمعات صناعة منتجات الجلود، والتي مكنت البرازيل من أن تحتل المركز الثالث عالمياً في تصدير الأحذية الجلدية، حيث ارتفعت حصتها في السوق العالمي لتحتل حالياً المركز السادس في التصدير، وقد ساعدت هذه التجمعات على تحقيق نمو سنوي لهذه الصادرات بلغ 24% .

ويعتبر إقليم ريو جراند دي سول Rio Grand de Sul الإقليم الأكثر شهرة داخل البرازيل في إنتاج المنتجات الجلدية حيث يساهم بنحو 30% من إنتاج الأحذية في البرازيل كما يساهم بنسبة 80% من صادراتها، ويوجد داخل هذا الإقليم أشهر تجمع لصناعة الجلود في العالم وهو تجمع وادي سينوس Sinos Valley والذي يعتبر المركز الرئيسي لتصدير الأحذية. ويوجد في تجمع وادي سينوس ما يزيد عن 1821 منشأة، ويعمل به ما يزيد عن 150 ألف عامل، ويبلغ العائد السنوي للتصدير ما يزيد عن ملياري دولار سنوياً حيث يتم تصدير 70% من إنتاج هذا التجمع سنوياً تتوجه النسبة الأكبر منها إلى السوق الأمريكي وهو ما يؤكد على الجودة العالية وانخفاض أسعار منتجات هذا التجمع والتي تمكنت من النفاذ للأسواق العالمية ومنافسة المنتجات الصينية. (الشرقية، 2013، صفحة 31)

ويمكن توضيح الروابط المختلفة التي توجد داخل تجمع وادي سينوس من خلال الشكل رقم (3) حيث أن:

- الروابط الخلفية: التي تربط مصنعي الأحذية بموردي المواد الخام ومستلزمات الإنتاج الرئيسية.
- الروابط الأمامية: التي تربط مصنعي الأحذية بالمشتريين خاصة وكلاء التصدير.
- الروابط الإستراتيجية: الخاصة بالمؤسسات المحلية الداعمة للتجمع.

الشكل رقم (3): الخريطة العنقودية لتجمع وادي سينوس لصناعة المنتجات الجلدية في البرازيل



المصدر: غرفة الشرقية، دراسة حول أفاق تطبيق التجمعات الصناعية وتأثيره على التوطين الصناعي في المملكة العربية السعودية،

(2013)، قطاع الشؤون الاقتصادية، مركز المعلومات والدراسات، الرياض، ص32

2.3. تجربة عنقود سيالكوت (Sialkot) في باكستان:

تعرف مدينة سيالكوت (Sialkot) الباكستانية بمدينة الإبداع، لما تنتجه آلاف المصانع فيها من بضائع متنوعة ذات نوعية عالية وفريدة حاز الكثير منها على شهادات تقدير دولية بما دفع كبرى الشركات العالمية في الولايات المتحدة وأوروبا للتهافت على منتجات هذه المدينة، ورغم صغر حجم مدينة سيالكوت مقارنة مع مدن باكستانية أخرى، حيث لا يزيد عدد سكانها عن 700 ألف نسمة فإن انتشار الصناعة فيها وامتلاك سكانها للمهارات الفنية المطلوبة في مجالات متعددة أكسبها سمعة دولية، وتشتهر سيالكوت التي تقع على بعد 300 كيلومتر جنوب شرق العاصمة إسلام آباد بصناعة الأدوات الرياضية والأدوات الطبية والجلود والملابس. وتصل قيمة صادرات منتجات مدينة سيالكوت إلى 800 مليون دولار سنوياً بما يقارب 4% من إجمالي الدخل القومي.

وبسبب انتشار أعداد كبيرة من المصانع في مدينة سيالكوت، فإن هذه المدينة لا تعاني مشكلة البطالة المستشرية في بقية المدن الباكستانية، وعلى النقيض فإنها تستورد عمالة إضافية سنوياً من مختلف المدن الباكستانية.

ويعد تعاون أصحاب مصانع سيالكوت وتجارها فيما بينهم أحد أسرار نجاح هذه المدينة وبروزها عالمياً، فالملاحظ في إقليم سيالكوت أن أصحاب الصناعات فيها يقدمون 2.5% من عائدات مصانعهم لصالح تطوير البنية التحتية في المدينة بما في ذلك بناء مطار دولي.

ويعتبر عنقود Sialkot لإنتاج الأدوات الجراحية في باكستان واحداً من أهم العناقيد الصناعية، وتنتج هذه العناقيد الملابس الجلدية والأدوات الرياضية. ويلعب هذا العنقود - الأدوات الجراحية - دوراً هاماً في السوق المحلية كما يساهم بنسبة كبيرة في الصادرات.

وينتج هذا العنقود الأدوات الجراحية المتخصصة ومنها المقصّات، المبضع الجراحي، ومدى كامل من الآلات الدقيقة المتخصصة من حديد الدرجة الأولى العالي المقاوم للصدأ، ويشتمل العنقود على أكثر من 2000 نوع من الأدوات الجراحية، وتعتبر السوق الأمريكية أكبر مستويع لإنتاج العنقود، حيث تستوعب حوالي 60% من إجمالي صادرات العنقود، ويتم تصدير الأدوات الجراحية المصنوعة من الحديد المصقول عالي الجودة إلى أوروبا الغربية خاصة إنجلترا، ويرجع ذلك لوجود عدد كبير من المقاولين من الباطن الذين يعملون في إنتاج الأدوات الجراحية عالية الجودة. (محمد م.، 2007، الصفحات 18-19)

ويتكون العنقود من 1500 مشروع صغير متخصص في مراحل معينة من طريقة الإنتاج، بجانب هذه المشروعات، هناك ما يقدر بـ 1500 من الموردين، وأكثر من 800 وحدة من المشروعات المتوسطة التي تزود أنواع مختلفة من الصناعات والخدمات التكاملية.

و يصدر 90% من ناتج Sialkot، إلى أوروبا وأمريكا الشمالية، بينما يشارك العنقود بـ 20% من الصادرات العالمية، وتعد باكستان بذلك المصدر الأكبر الثاني من الأدوات الجراحية، بعد ألمانيا. (Nadvi K، 2004، صفحة 536)

3.3. التجمعات العنقودية لصناعة الدراجات الهوائية في تيانجين TIANJIN بالصين:

بدأت هذه الصناعة في تيانجين عام 1919، حيث كان في ذلك الوقت مجرد عدد قليل من المؤسسات العمومية في كامل المنطقة، هذه المؤسسات كانت متكاملة عموديا، ولم يكن هناك تصنيع للقطع واللاحق من طرف مؤسسات مناولة.

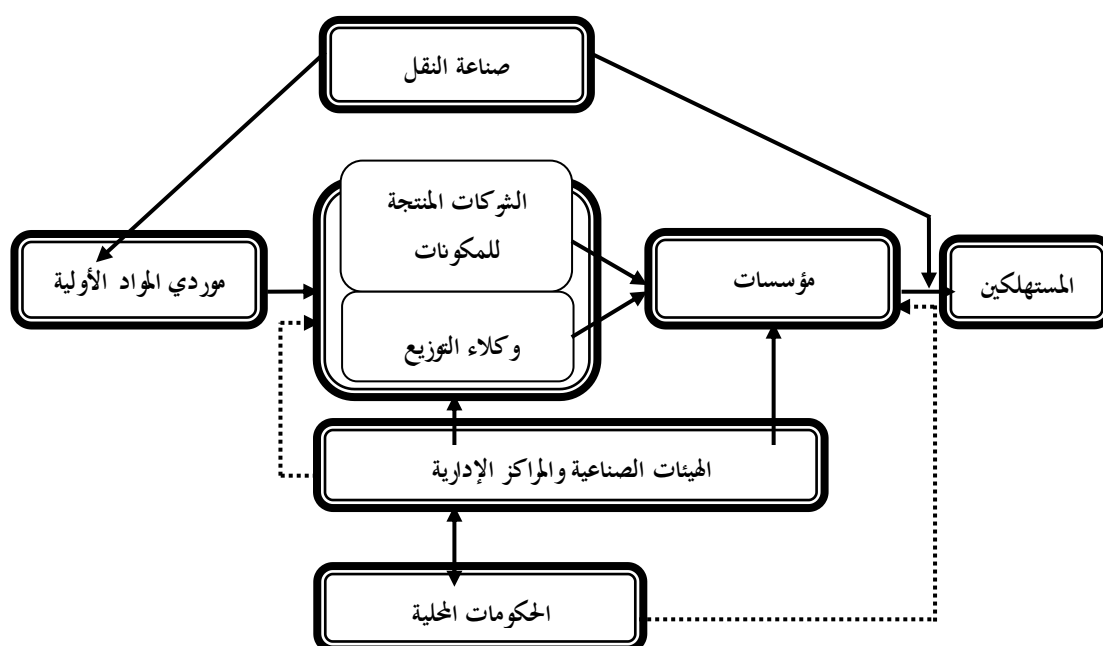
اعتبرت TIANJIN مهد صناعة الدراجات ولوحقتها في الصين في الفترة (1970-1980)، حيث كانت ناجحة جدا وأصبحت دعامة رئيسية لهذه الصناعة. (قوي، 2017/2016، صفحة 148)

ظهرت في بدايات 1990 بوادر دخول المؤسسات التابعة للحكومة في هذه الصناعة مرحلة العجز، حيث تراكمت السلع في المخازن وتكدست، مما قاد المؤسسات العمومية التي كانت محتكرة لصناعة الدراجات إلى وقف الإنتاج وتسريح العمال والاضطرار إلى بيع أصولها.

بحلول عام 1991 دخلت المؤسسات الخاصة بقوة في صناعة تيانجين للدراجات، بعد أخذهم ترخيص من طرف مكتب الدولة للصناعات الخفيفة، مستندة في ذلك إلى الموقع المميز، التكنولوجيا، الخلفية الإدارية للمؤسسات، فأصبح هناك تجمع لللاحق والإكسسوارات من طرف مؤسسات مقاولو لحساب مؤسسات أخرى كبيرة، فتشكلت بذلك فعليا تجمعات عنقودية للدراجات بدخول المؤسسات الخاصة عام 1998، ومع نهاية عام 2000 كانت هناك 655 مؤسسة تصنيع دراجات هوائية ولوحقتها، منها 283 مؤسسة خاصة مساهمة في السوق بنسبة 74,67% من الإنتاج السنوي، تنتج هذه المؤسسات مجمل ما يفوق 40% من الناتج الوطني الإجمالي للدرجات في الصين كله. (قوي، 2017/2016، صفحة 149)

هذه المؤسسات المكونة لعناقيد تيانجين عمومية كانت أم خاصة معظمها صغيرة ومتوسطة، كل مؤسسة غالبا تركز على وظيفة ودور واحد في سلسلة القيمة، تباع منتجاتهم الوسيطة في تيانجين فيما بين مؤسسات وعناقيد تيانجين، أما المنتجات النهائية تباع في كامل البلاد.

الشكل رقم (4): الخريطة العنقودية لصناعة الدراجات في تيانجين بالصين



المصدر: سعاد قوني، التجمعات العنقودية كعامل تنافسي في قطاعات المؤسسات الصغيرة والمتوسطة : دراسة لبعض تجارب البلدان النامية، (2016/2017)، أطروحة دكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ص52

نلاحظ من الشكل السابق أن موردي المواد الأولية يقومون على تمويل المؤسسات المناولة المنتجة للمكونات والإكسسوارات الخاصة بالدراجات، ليتم تجميع المكونات أخيرا في مؤسسات الدراجات. تقوم الهيئات الصناعية والمراكز الإدارية كمركز جودة الإدارة لصناعة للدراجات، ومركز لوازم ولواحق الدراجات، الجمعية الصناعية للدراجات في TIANJIN على دعم الصناعات الغذائية لصناعة الدراجات. ومن خلال نفس الشكل نلاحظ أن الحكومات المحلية (المقاطعة، الولاية) تقوم على توفير البنى التحتية للهيئات الصناعية والمراكز الإدارية من: طرقات، تجهيزات، مؤسسات تمويل، بنية فعالة من الأنظمة والقوانين، وبنية تحتية حديثة خصوصا في مجال الاتصالات والمواصلات وقنوات التسويق، الجامعات ومؤسسات التدريب المهني، وبورصات المناولة والنقابات المهنية وحاضنات الأعمال. أصبحت بذلك الجماعات المحلية قادرة على وضع برامج تنمية محلية مكتملة لتلك التي تتبعها الدولة وطينا في مسار تنمية مشتركة يجمع شركاء خواص وعموميين، فمهمة الفاعلين المحليين عمليا تتجلى في البحث عن حلول مناسبة للصعوبات التي تواجهها مؤسسات المنطقة وخلق بيئة ملائمة لنمو هذه الأخيرة.

4.3. التجربة الإيطالية (وادي التغليف Packaging Valley):

تقع معظم العناقيد الصناعية في شمال شرق ووسط إيطاليا، وقد حققت المشروعات الصناعية الصغيرة والمتوسطة نجاحاً خاص في إنتاج السلع التقليدية كالأحذية وحقائب اليد الجلدية والملابس والأثاث والآلات الموسيقية والأغذية المجهزة والآلات، وقد قدر عدد العناقيد الصناعية في إيطاليا بعدد 200 عنقود يعمل بها حوالي 2.200.000 عامل يمثلون نسبة 42,5% من الأيدي العاملة، ويصل عدد المشروعات بها إلى 90.000 مشروع برقم أعمال يقدر ب 67 مليار دولار وبحجم صادرات يتعدى 90 مليار دولار. (منصور، 2012، صفحة 11)

ويعتبر العنقود الصناعي المتخصص في تصنيع ماكينات التغليف والمسمى بوادي التغليف Packaging Valley والذي يتمركز في مقاطعة بولوجنا Bologna شمال إيطاليا من أشهر التجمعات الصناعية في العالم المتخصصة في هذا النوع من الصناعات، ويعتبر أيضا من أنجح التجمعات الصناعية في إيطاليا، حيث يتمركز بهذا التجمع أكبر مصّنع ماكينات التغليف وموردي قطع الغيار في إيطاليا، ويقوم هذا التجمع بتصدير نسبة 85% من مبيعاته خارج إيطاليا وهو ما جعل إيطاليا تحتل المركز الثاني عالميا بعد ألمانيا في تصدير ماكينات التغليف. (Boari، 2001، صفحة 5)

إن أهم ما ساعد عنقود وادي التغليف بإيطاليا على النجاح يعود للعوامل التالية: (الشرقية، 2013، الصفحات 28-29)

- التميز الصناعي: بدأت صناعة ماكينات التغليف في إيطاليا عام 1924 بتأسيس مصنع ACMA في مدينة بولوجنا لتصنيع ماكينات التغليف الخاصة بشركة جازوني للأدوية Gazzoni ، وقد حقق هذا المصنع نجاح كبيرا من خال تلبية طلبات العديد من الصناعات الأخرى مثل

الصناعات الكيماوية وصناعات الأغذية، وقد بدأ هذا المصنع في التصدير إلى الأسواق الأوروبية والأمريكية، وكان أهم عوامل نجاح هذا المصنع هو قدرته على تصنيع وتجميع ماكينات تغليف تناسب تطلعات العديد من المستهلكين، وبحلول عام 1939 كان المصنع يوظف 100 عامل، و قد شكل هذا المصنع سببا رئيسيا في شهرة المنطقة بتميزها في صناعة ماكينات التغليف وهو ما شجع الكثير من رواد الأعمال على إنشاء مصانع منافسة أو مرتبطة بهذه الصناعة تبلغ حالي ما يزيد عن 41مصنعا.

- **الطلب المحلي:** لعب الطلب المحلي دوراً كبيراً في تنمية وادي التغليف في إيطاليا في مراحل نموه الأولى حيث كان هناك طلب محلي متزايد من صناعات الأغذية وصناعة المنسوجات الموجودة في المقاطعة.
 - **توفر الخبرات الفنية المحلية:** وجود خمسة مصانع كبيرة الحجم في منطقة بولونجا متخصصة في الصناعات الميكانيكية، محاط بها العديد من الورش المتخصصة في الأعمال المعدنية، وقد قدمت هذه الصناعات العديد من الخبرات للعمالة المحلية.
 - **توفر الشركات الرائدة:** نظراً لوجود العديد من الشركات الرائدة في صناعة ماكينات التغليف في وادي بولونجا فقد ساعد ذلك في توفر المناخ المشجع لغيرها من الشركات الجديدة، وذلك من خلال دورها كحاضنات أعمال.
 - **الدور الحكومي:** من خلال إنشاء مؤسسات خدمات لأعضاء التجمع الصناعي، تقدم معلومات الأسواق والتكنولوجيا ونظم المعلومات وخدمات التدريب.
 - **دور المعهد الصناعي:** تم إعادة هيكلة المعهد الصناعي الموجود في بولونجا ليتوافق مع متطلبات التجمع الصناعي وتم الاهتمام بالربط بين برامج التعليم واحتياجات المصانع.
- ويمكن إجمال أهم الخصائص المشتركة للعناقيد الصناعية الإيطالية في النقاط التالية: (منصور، 2012، الصفحات 11-12)

- **التخصص المرن:** حيث يتميز الإنتاج في التكتل بالتفكك العمودي، فعملية الإنتاج مقسمة إلى عدة مهام تقوم بها شركات مختلفة، حيث تخصص كل شركة بإنتاج جزء معين من عملية الإنتاج مما يساهم في الاستفادة من وفورات الحجم الكبير والمحافظة على نوعية المنتجات، كما يتميز الإنتاج بالمرونة فيمكن لعدة مقاولين التعاون في عملية الإنتاج أو تقديم الخدمات، وتستفيد الشركات العاملة في العنقود من ميزة القرب الجغرافي لمقدمي الخدمات والمواد الأولية والمعدات، وكثيرا من التكتلات الإيطالية تديرها الأسر التي تملكها وغالباً تكون قريبة من بيت الأسرة وتكيف فيها ساعات العمل حسب الطلب.
- **المعرفة والابتكار:** فالابتكار ينطلق من المؤسسة باعتبارها عملية انفرادية تحصل داخلها وتصبح عملية جماعية داخل التكتل الإيطالي، وذلك بسبب تدفق المعارف وترابط العلاقات داخل التكتل وتقاسم قوة العمل محلياً فيتم تقاسم تلقائي لمجموعة المعارف والمهارات في بقية المشروعات.

- **المنافسة والتعاون:** فالشركات التي تنتج نفس المنتجات تتنافس منافسة شرسة تنظمها قواعد السلوك الضمنية، وفي نفس الوقت تتعاون الشركات داخل العنقود في تنفيذ مشاريع مشتركة كتوفير خدمات البنية التحتية، ويرتبط ذلك بالجانب المؤسسي الذي يتميز به العنقود الإيطالي والذي يضم المؤسسات الحكومية ونقابات العمال ومنظمات القطاع الخاص.. الخ، التي تساعد في تسهيل التعاون بين الشركات وبين الشركات وبقية أعضاء هذه المؤسسات العامة.
- **التنوع والديناميكية:** حيث تلعب المشروعات الصغيرة ومتوسطة الحجم وخاصة المشروعات الحرفية والصغيرة دوراً هاماً داخل العنقود، ولها علاقات مع مشروعات أكبر حجماً، والعلاقات متنوعة وتتراوح بين علاقات المساواة والتعددية من طرف والعلاقات الرأسية المتضمنة عدد قليل من المشروعات الكبرى من الطرف الآخر لسلسلة القيمة المضافة.

4. قراءة تحليلية في العلاقة بين العناقيد الصناعية وإنعاش المؤسسات الصغيرة والمتوسطة بحسب التجارب الرائدة:

بعد تسليط الضوء على العديد من تجارب العناقيد الصناعية كمحدد لإنعاش المؤسسات الصغيرة والمتوسطة بمختلف البلدان من أمريكا اللاتينية وأوروبا وآسيا، أمكننا القول أن العمل الفردي لهذه المؤسسات قبل أن تكون مترابطة عبر هذه العناقيد خلق لها العديد من القيود التي تواجه نموها وتطورها، ولكن ما إن تبنت أسلوب العناقيد الصناعية أدى ذلك إلى خلق مناخ سمح لها باكتساب مزايا اقتصادية الحجم الكبير، حيث يمكن لموقع العنقود وتواجده بشكل مؤسسات قريبة من بعضها البعض تحقيق وفورات في التكاليف والكفاءات، وخلق تأثير مشابه لتأثير كرة الثلج من خلال جذب المؤسسات المماثلة والموارد المتخصصة وأنشطة الدعم، فضلاً عن ذلك فإن الثقافة والقيم المشتركة للعنقود الصناعي أفضت إلى إنشاء تعاون بين المؤسسات العنقودية قائمة على الثقة، وهذا انعكس إيجاباً على الصفقات والعقود داخل وخارج العنقود وقلل من تكاليف الصفقات التي تتسم بشيء من المخاطرة وعدم التأكد.

وبهذا يمكن القول أن سياسة تطوير العناقيد الصناعية من خلال التجارب السابقة تبرز اليوم كطريقة حديثة وفعالة لتسريع النمو الشامل والمستدام من خلال العمل على تعزيز الروابط الخلفية والأمامية بين المؤسسات العاملة في نشاط اقتصادي سلمي أو خدمي معين بهدف تعزيز التنافسية الجماعية وتحويل العنقود من حالته غير النشطة إلى حالته النشطة تعزز فيه الروابط بين المصنعين والموردين ومقدمي الخدمات المختلفة من نقل وشحن، وتسويق، وتمويل، وخدمات استشارية، وغيره.

كما أنه أمكننا عند إلقاء نظرنا على هذه التجارب الرائدة من زاوية الابتكار، فإنه يمكن أن نشير أن تواجد مجموعة من المؤسسات وعلى شكل شبكة من العلاقات القوية ساعد على تعزيز القوة الدافعة للابتكار وخلق بيئة محفزة له، ذلك أن هذا التقارب بين المؤسسات يساعد على الحصول ونقل وتشارك المعلومات والمعرفة بشكل مباشر وبسرعة، ويحفز مؤسسات العنقود على التنافس فيما بينها عن طريق الضغط الخفي فيما بينها. وفي هذا الإطار يمكن طرح سياسة تطوير العناقيد الصناعية في الجزائر لمواجهة التحديات التنموية المتعاضمة التي تواجهها لاسيما في مجالات التنوع الاقتصادي والتنافسية الكلية للاقتصاد وتنوع الصادرات وإنعاش المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والتي يمكن التغلب عليها تدريجياً من خلال تطوير فهم مشترك بين أصحاب المصلحة لصياغة

عملية الإصلاح الاقتصادي والسياسات الصناعية الضرورية لتعزيز قطاع الصناعات التحويلية وتنويع الاقتصاد وزيادة التنافسية الكلية وفق المنهجية والمساعي العملية لمختلف الحكومات المتعاقبة.

5. الخاتمة:

لقد أولت هذه الدراسة اهتماماً بالعناقيد الصناعية كسبيل وبديل ورؤية جديدة لإنعاش المؤسسات الصغيرة والمتوسطة نتيجة للإختلالات الهيكلية والمعوقات التي تواجهها، وهذا خلافاً للرؤى التي كانت سائدة، وعلى ضوء ذلك تمخضت لنا مجموعة من النتائج يمكن عرضها على النحو التالي:

- 1- إن التحدي الكبير في المشروعات الصغيرة والمتوسطة ليس الحجم (الذي قد يكون ميزة) بل في التفكك وعدم ارتباطها في هيكل متكامل يواجه تفتت عمليات الإنتاج والتسويق والشراء.
- 2- تستهدف العناقيد الصناعية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والتي دائماً ما تعاني من مشاكل كثيرة على مستوى التمويل والانتشار والاستمرار في سوق العمل.
- 3- العناقيد الصناعية هي نظام يربط بين كيانات خاصة وعامة تتألف من مجموعات من المؤسسات والموردين ومقدمي الخدمات المختلفة من نقل وشحن وتسويق وتمويل وغيرها مبنية على الروابط الخلفية والأمامية في نشاط اقتصادي سلعي أو خدمي معين.
- 4- بحسب ما ورد في هذه الدراسة من تجارب للعناقيد الصناعية فإن هذه الأخيرة عملت على كسر الانعزال عن المؤسسات الصغيرة والمتوسطة من خلال وضع رؤية مشتركة للمستقبل وتعزيز قدرتها على التصرف بشكل جماعي من أجل تحقيق هذه الرؤية بزيادة التنسيق في المهام المختلفة وفي الموارد المشتركة.
- 5- أشارت التجارب العديدة الواردة للعناقيد الصناعية في هذه الدراسة سواء في الدول النامية أو المتقدمة أن المؤسسات الصغيرة والمتوسطة تتمكن من تعزيز تنافسيتها من خلال التواصل والتشابك، حيث تصبح نشاطاتها أيسر وقابلة للاستدامة ضمن تجمعات جغرافية وقطاعية تواجه عموماً نفس الفرص والتهديدات. ويتحقق ذلك من خلال تدفق للمواد الخام والمكونات بالإضافة لتوافر العمالة الماهرة والتعليم والتدريب، والتمويل، والبحث العلمي، والتطوير. وتدفع هذه التكتلات نحو خلق نشاطات داعمة في الخدمات الفنية أو الإدارية أو المالية. هذا بالإضافة إلى التفاعل مع بيئة الأعمال القائمة ودفعها نحو تطوير أنواع من التعاون بين الشركات والموردين وبين القطاع الخاص والقطاع الحكومي ما يسمح بتعزيز التعلم الجماعي بالممارسة والابتكار والبحث العلمي، ما يساعد على تحريك النمو وخلق فرص عمل جديدة ومعالجة التفاوتات الجهوية
- 6- حسبما هو وارد في التجارب التطبيقية لهذا الأسلوب التجمعي للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة فإن العناقيد الصناعية تعمل على توفير بيئة مشجعة لنشاط الأعمال، وخفض تكاليف الإنتاج، وتسهيل الحصول على الخدمات الحكومية، والحصول على مستلزمات الإنتاج بأسعار تنافسية، وزيادة الحصة السوقية

7- خلصت الدراسة إلى أن العناقيد الصناعية كانت سببا رئيسيا في تنمية اقتصاديات العديد من الدول وتنمية العديد من القطاعات الصناعية، حيث لعب وادي التغليف في إيطاليا دورا هاما في تربيعها على عرش صناعة ماكينات التغليف في العالم، كما ساهم تجمع وادي سينوس في تنمية قطاع الصناعات الجلدية وجعل البرازيل ضمن أهم الدول المنتجة والمصدرة لهذه الصناعات في العالم، كما يعد تجمع سيالكوت في باكستان من أهم وأنجح التجمعات العنقودية التي مكنتها من أن تصل لموقع الصدارة عالميا في إنتاج الأدوات الجراحية.

الاقتراحات:

استنادا على النتائج التي توصلت لها الدراسة ورؤية الباحث للموضوع، فإن ذلك يسمح لنا بتقديم بعض المقترحات أو التوصيات التي يؤمل أن تسهم في دعم تطبيق العناقيد الصناعية بالمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، ومن بينها:

- 1- دعم العلاقات التشابكية بين الوحدات الصناعية الصغيرة مع الكبيرة والمتوسطة حيث أنها الأساس الذي سيدعم النمو الصناعي في المرحلة المقبلة، وستكون المنشآت الصناعية الصغيرة الركيزة التي ستبنى عليها المؤسسات الصناعية العملاقة على المستوى الكلي.
- 2- يمكن تطبيق فكرة العناقيد الصناعية في الجزائر على عدد من الصناعات مثل المنسوجات والملابس الجاهزة، المنتجات الجلدية والأحذية، الزجاج، ومواد التنظيف كمرحلة أولى على أن يمتد التطبيق إلى صناعات أخرى بعد نجاح التجربة مثل صناعة الإلكترونيات.
- 3- المساعدة على دعم العناقيد وتأهيلها من خلال تصميم البرامج التي تشجع على إرساء نمط شبكي من العلاقات مثل تشجيع التعاقد من الباطن وتبادل المعلومات وإنشاء مراكز التدريب المشتركة، وربط هذه البرامج بنظم التعليم والتدريب وتطوير العلوم بمؤسسات البحث العلمي والجامعات.
- 4- محاولة الأخذ بنظر الاعتبار مفهوم العناقيد الصناعية كسياسة تهدف إلى التنمية المكانية والإقليمية ومحاولة تطوير البنية التحتية والبنية المجتمعية وذلك لوجود العديد من نقاط القوة والفرص التي تتمتع بها معظم ولايات الوطن.
- 5- من أجل ضمان نجاح تجربة العناقيد الصناعية في الجزائر، نقترح عقد المزيد من الندوات والمؤتمرات والإطلاع على تجارب الدول وأساليبها المتبعة في هذا الجانب.

قائمة المراجع:

1. جمعي عماري. (2010/2011). إستراتيجية التصدير في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الجزائرية، أطروحة دكتوراه. جامعة باتنة، الجزائر
2. زهراء عماد حسين. (2018). سياسات الاستقطاب الحديثة والتنمية المكانية: دراسة لسياسة العناقيد الصناعية – كربلاء حالة دراسية. مركز التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا. بغداد، العراق.
3. سعاد قوفي. (2016/2017). التجمّعات العنقودية كعامل تنافس في قطاعات المؤسسات الصغيرة والمتوسطة : دراسة لبعض تجارب البلدان النامية، أطروحة دكتوراه. جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر
4. صندوق التنمية الصناعية السعودي. (2007). العناقيد الصناعية مفهومها وآلية عملها، الجزء الأول. قسم البحوث وحدة الدراسات الاقتصادية السعودية.
5. عابد محمود أحمد، عبد الله عبد الشافي منصور. (2012). دور العناقيد الصناعية في تنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة (المجلد المجلد 7). (مجلة القطاع الهندسي، المخر). جامعة الأزهر. القاهرة.
6. غرفة الشرقية. (2013). دراسة حول أفاق تطبيق التجمّعات الصناعية وتأثيره على التوطين الصناعي في المملكة العربية السعودية. قطاع الشؤون الاقتصادية، مركز المعلومات والدراسات. الرياض.
7. فريد النجار. (1999). التحالفات الإستراتيجية: من المنافسة إلى التعاون – خيارات القرن 20 –، ط1. إيتراك للنشر والتوزيع. القاهرة.
8. محمد عبد الحليم مدحت. (2007). دور العناقيد الصناعية في عملية التنمية الصناعية والاقتصادية. منشأة المعارف للنشر. الإسكندرية:
9. مخلوفي عبد السلام، بودي عبد الصمد. (2011). ترويج مفهوم العنقود الصناعي كآلية فاعلة لدعم وإنشاء المقاولات الصغيرة والمتوسطة بالجزائر مع الإشارة لتجربة إيطاليا. الملتقى الدولي الثاني حول المقاولاتية، جامعة بسكرة. الجزائر.
10. مصطفى محمود محمد. (2007). دور العناقيد الصناعية في إدارة مخاطر المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة. الأردن: المؤتمر السنوي العلمي السابع بعنوان إدارة المخاطر واقتصاد المعرفة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الزيتونة.
11. ممدوح محمد مصطفى. (2004). استراتيجية توطین المشروعات الصناعية في مصر، دراسة حالة إقليم جنوب الصعيد، أطروحة دكتوراه. كلية الهندسة، جامعة عين شمس. القاهرة.
12. نبيل محمد مرسي، أحمد عبد السلام سليم. (2007). الإدارة الإستراتيجية. المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية.
13. and Halder, G Nadvi K. (2004). *Local Clusters in Global Value Chains: Exploring Dynamic Linkages Between Germany and Pakistan*. IDS Working Paper 152, Institute of Development Studies. Brighton

14. Cristina Boari .(2001) .*Industrial Clusters, Focal Firms, and Economic Dynamism: A Perspective from Italy* .Washington, World Bank Institute. U.S.A
15. David L. Barkley .(2001) .*Advantages and Disadvantages of Targeting Industry Clusters* .Clemson University. USA
16. P.B., and D.G. Terkla. Doeringer .(1995) .*Business strategy and cross-industry clusters* Volume 9) .(Economic Development Quarterly Amsterdam: Vrije Universiteit.
17. San Diego .(2011) .*What are Industrial Clusters* .Virginia, Association of Government. USA